على النظم المستجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات
وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار
على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الإضافة ومنها أن
شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات
تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم
وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن
تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف
ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني
ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على
عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول
الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على
فظاعة ما أجروا إليه وجسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه
جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش
مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب ويقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي
عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابا على
عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه **أنهم صبروا** في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو
ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة
على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه
إلا حر **فإن قلت** هل من فرق بين حتى تخرج وإلى أن تخرج **قلت** أن حتى مختصة بالغاية
المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز وإلى
عامة في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله إليهم غاية قد ضربت لصبرهم
فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء إليها **فإن قلت** فأي فائدة في قوله إليهم **قلت**

قلت فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا
أن خروجه إليهم **لكان خيرا لهم** في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما ضمير
مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له **والله غفور رحيم** بليغ الغفران والرحمة
واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا بعث رسول الله صلى الله عليه
الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس
وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمن عنهم مصدقا إلى بني المصطلق

بني المصطلق

وكانت بينه وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع
وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب
رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي
ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلوات متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبإ
شياع في الفساق والأنباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى
الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة
عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا
قفست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ
من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فتثبتوا والتثبت
والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله والذين معه
بالمنزلة التي لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد إلا في
الندرة قيل إن جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا
يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور **أن تصيبوا** مفعول له أي كراهة أن تصيبوا **قوما**
بجهالة جاهلين كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة
والإصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى

Copyright © King Saud University